

مقياس : الفلسفة الأنغلو سكسونية

السنة الجامعية : 2021/2020

أستاذ المقياس : الدكتور حابل ندير

مستوى : السنة الثانية ماستر غربية

المحاضرة الثامنة : البراغماتية الجديدة / ريتشارد رورتي .. تابع

ما بعد الفلسفة / الفلسفة الجديدة

ما المقصود بما بعد الفلسفة ؟ وهل الـ ما بعد تقصي التراث الفلسفي الغربي بما فيه

البراغماتية الكلاسيكية ؟

قد تبدوا الأفكار الثورية التي يدعوا إليها رورتي ضربا من العبث إذا ما فهمت في مستواها السطحي ولكن محاولاته على غرار البراغماتين الجدد كانت تستهدف نزع القداسة الفكرية عن الفلسفة ولن يكون هذا إلا بالبرهان على لافلسفة الفلسفة أو بطريقة أخرى إثبات الطابع اللافلسفي للفلسفة الحقة ، فالفيلسوف الحقيقي هو الذي ينطلق من أرضية فكرية لافلسفية / أرضية خام ، خالية من كل تأسيسات مسبقة . تبرير رورتي لهذا التصور يتمثل في كون الإرث الفلسفي المنحدر إلينا منذ أفلاطون يتسم بلغة تتضارب فيها الافتراضات مع الأهداف حيث لا يوجد على مستوى اللغة الفلسفية توافق بين ما نفترضه وما نريد الوصول إليه ، وهذا التضارب والفوضى تجعل الأهداف غير واضحة وغير موجودة وهذا ما لا يقبله البراغماتي الذي يؤسس منطلقاته على أهداف محددة، ربما هي ثورة على فلسفة الحضور التي تمتد من أفلاطون إلى هيغل . يعود رورتي إلى هيغل الذي يرى أن " الفلسفة الحقة هي التي تدرك زمانها في الفكر " بمعنى أن الفلسفة الحقة هي التي تنجح في تقديم وصف / تشخيص للمجتمع في الزمن الحاضر ، وهي التي تأمل في أن يكون العدل وقيم الحرية أساسا لهذا المجتمع ، نجد هنا أن رورتي يستثمر فكرة هيغل في إدراك الفلسفة لزمانها (الفيلسوف الحقيقي هو الذي يدرك مشاكل زمنه) هذه الفكرة التي تحقق ما أراده ماركس أي نجاح الفلسفة في تغيير العالم (الفيلسوف الحقيقي هو الذي يغير العالم) ، بفضل تصورات هيغل وماركس تمكن رورتي من تجاوز أفلاطون الذي رأى أن مهمة الفلسفة هي فهم العالم (الفيلسوف يفهم العالم) . اقتنع رورتي أن إمكانية فهم العالم التي نادى بها أفلاطون لا فائدة منها وهي غير ممكنة لأن هذا الفهم يكون خارج حدود الزمن والتاريخ ، لقد انصرف رورتي عن أفلاطون الذي أعجب بأفكاره في بداية تكوينه الفلسفي وانتقل إلى الاتجاه التحليلي الذي وجد فيه الصرامة اللسانية .

رجوعا إلى مفهوم ما بعد الفلسفة ، يمكن أن نشير إلى حديث الما بعديات في الفكر الفلسفي المعاصر الذي ترافق مع حديث النهايات أو خطاب النهايات الذي يعني كذلك الموت والذي يندرج ضمن ما سعي بخطاب الإسكاتولوجيا الذي تضمن دعوات : نهاية الإله ، نهاية الأخلاق ، نهاية الإنسان ، نهاية التاريخ ، نهاية

الإيديولوجيا ، ونهاية الفلسفة ، لكن هل يمكن للفلسفة أن تنتهي وتموت ؟ وهل يمكن اعتبار خطاب ما بعد الفلسفة الذي قدمه رورتي نهاية للفلسفة ؟

يرى رورتي أن الفلسفة لا تموت ولا يمكن القول بنهايتها لأنها ترتبط نقديا بمشاكل الإنسان الأخلاقية والسياسية ومختلف تغيرات الحياة وقضايا الثقافة التي لا تعرف النهاية ، وما يموت أو ينتهي هو أنماط التفكير التي تتجدد وتتغير وتنتهي ، ولهذا يقول رورتي بنهاية النمط الأفلاطوني المجرد الذي يعتبره خارج الزمان والتاريخ .

الفلسفة هي المساءلة النقدية التي ترافق الحياة الراهنة وخطاباتها الثقافية من أجل الوصول بالمجتمعات إلى الحرية الثقافية التي تعتبر دلالة على وجود الفلسفة (المجتمع الحر ثقافيا هو المجتمع الذي يتفلسف) والحرية هي غاية المجتمع الليبرالي ، هذه الفكرة التي تتأسس عليها الليبرالية الجديدة التي تعتبر خلفية إيديولوجية لرورتي .

يقول رورتي بفكرة التوقع الزمني / المكاني للفلسفة بمعنى وجود هذه الفلسفة في صورة نظرية تتمثل في آراء وتصورات وأفكار ، وتطبيقية تتمثل في تحقق هذه الأفكار في الواقع العملي من خلال الممارسة العملية وهنا يظهر وفاء رورتي للشق البراغماتي الكلاسيكي (معيار تحقق الفكرة هو مدى تجسدها واقعا) . يرى رورتي أن الفكر الفلسفي تأسس على الثنائيات منذ الإغريق ومنذ الثنائية الأولى (المحسوس / المجرد) التي جعلت من المعقول أسمى ومن المحسوس أدنى ، وتفرعت عنها ثنائيات ميتافيزيقية أخرى عبر أزمنة الفكر : المقدس الديني / المذنب الدنيوي ، الروحي / المادي ، ... الخ وقد أدى حصر الفكر في ثنائية إلى تضيق الفكر الذي لم يستطع التفكير خارج نطاق الثنائية وهذا ما خلق أنساقا فكرية جامدة بقيت تفكر داخل النسق وأهملت مشاكل الحياة الموجودة خارج النسق .

يعود رورتي إلى البراغماتية الكلاسيكية وتحديدا إلى أستاذه جون ديوي وكذلك وليام جيمس في قولهما بضرورة تجاوز ثنائيات : الفكر / العالم ، الأخلاق / المعرفة ، الحقيقة / المظهر ، هذه الثنائيات التي اعتبرها كل من ديوي وجيمس عبارة عن نزاعات ميتافيزيقية وعوائق أمام التقدم الإنساني صنعتها الإيديولوجيا الإغريقية لأغراض معينة أهمها احتكار الحقيقة ، لهذا يتوجب على البراغماتي الحقيقي تجاوزها ، لهذا قال رورتي بضرورة تجاوز الثنائيات الميتافيزيقية القديمة التي صنعت أنساقا فكرية عبر الزمن ، لأن تجاوز هذه الثنائيات يفتح أمامنا إمكانات التفكير في هوامش الفكر التي كانت خارج مركز النسق ، هذه الهوامش هي التي تختزنها حقول : الثقافة والفن والدين والشعر والكتابات الأدبية ، باعتبارها ميادين تنفلت من صرامة النسق وسلطة المركز وتفتح على حرية الإبداع لأن المخيال الإنساني سمته حرية المزاج l'humeur ، وهنا يحيلنا رورتي إلى كل من هايدغر ، وهيغل وفتجنشتاين الذين يعتبرهم فلاسفة مزاجيين كونهم اعتمدوا على حرية

المخيال والاستعارة الفلسفية La métaphore philosophique التي كانت أساس أعمالهم في تحليل مختلف قضايا الحياة ومساءلة أزماتها .

تعبّر ما بعد الفلسفة عن فلسفة جديدة تقوم على الحوار والمساءلة : الحوار ومساءلة الأزمات الراهنة خطابيا وعن طريق سلطة الخطاب الذي يثبت فعاليته عندما يكون حرا مستقلا عن كل إكراهات الأنساق والإيديولوجيات الفكرية التي تدعي احتكار الحقيقة .

وتقوم ما بعد الفلسفة على الانفتاح المعرفي على كل المعارف البشرية ، وهذا ما يدعوا إليه رورتي من خلال مشروع إزالة الحدود المعرفية أو ما يسميه بـ " المحادثة داخل الثقافة Conversation au sein de la culture " باعتبار أن المعارف البشرية كلها بما فيها الفلسفة هي حقل ثقافي ، ولهذا يفضل المحادثة داخل الثقافة عن الفلسفة الخالصة التي بقيت بعيدة عن أزمات الإنسان .

يمكن مشروع الانفتاح من جعل الثقافة أصواتا متعددة تتناول ال-حقيقة وتكون الفلسفة صوت ثقافي وهذا معناه أن الحقيقة ليست حكرا على الفيلسوف وحده ولا يمكن اعتباره الباحث الوحيد عنها ولا الناطق الوحيد باسمها ، وبالتالي تجاوز الزمن الذي كان فيه صوت الفيلسوف يتعالى عن باقي الأصوات ، والانتقال إلى زمن التواضع الفكري والتواضع الفلسفي والتخلي عن فكرة : المنهج الفلسفي كمسار وحيد للحقيقة والتخلص من فكرة الصرامة الفلسفية التي لم تقدم شيئا للبشرية لأنها بقيت خارج الزمان وبعيدا عن أزمات الحياة ومشاكلها .